مجلة أبعاد مجلد 10، العدد 01 (خ)، 2023
ISSN: 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

جينيالوجيا النقد الفلسفي في فلسفة فريدريك نيتشه

The Genealogy of the Philosophical Criticism in the Philosophy of Friedrich Nietzsche

حنان بوطورة Hanane Boutora * علم الاجتماع جامعة 20 أوت 1955.سكيكدة-مخبر البحوث التربوي والدراسات الاجتماعية/ الجزائر
h.boutora@univ-skikda.dz
سميرة منصوري Samira Mansouri علم الاجتماع جامعة 20 أوت 1955.سكيكدة-مخبر البحوث التربوي والدراسات الاجتماعية/ الجزائر
s.mansouri@univ-skikda.dz

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/12 | تاريخ القبول: 2022/04/05 | تاريخ النشر: 2023/05/05

ملخص: هدفنا في هذه الورقة البحثة إلى التعرف على جينيالوجيا النقد الفلسفي عند فريدريك نيتشه من خلال منهج وصفي تحليلي.

وتوصلنا إلى نتائج منها: أن النقد الفلسفي جاء ليؤسس لمنهج جينيالوجي ثائر على كل فكرا يركن بالحياة في زاوية اللاّقيمة، محاولا إعادة الاعتبار لها وللإنسان لمن خلال خلق فكر جديد لا نسقي مجاوز للفكر الميتافيزيقي وللعقلانية الصارمة، يعيد لإنسان حقوقه المسلوبة باسم الإله أو العقل، متأثرا في ذلك بجملة من الفلاسفة من بينهم: شوبنهاور، فاجنر، داروين، والذين عاد لينتقدهم وبين ما تخفيه أصول أفكارهم ويرسخ بذلك منهجه التفكيكي الثائر على كل تقليد أعمى لا يقدر قيمة الحياة ويسير بها للعدمية.

الكلمات المفتاحية: نيتشه؛ إرادة القوة؛ جينيالوجيا.

Abstract Our aim in this paper is to identify the genealogy of philosophical criticism of Friedrich Nietzsche through a descriptive-analytical approach.

And we reached results, including: that philosophical criticism came to establish a genealogical approach revolting against every thought that rests on life in the angle of worthlessness, trying to restore consideration for it and for the human being, through the creation of a new non-formal thought that goes beyond metaphysical thought and strict rationality, restores to man his stolen rights in the name of God or reason, influenced by In it, a group of philosophers, including: Schopenhauer, Wagner, Darwin, who returned to criticize them and what the origins of their ideas hide, thus establishing his rebellious

* المؤلف المُرسل: h.boutora@univ-skikda.dz

deconstructive method on every blind tradition that does not appreciate the value of life and leads it to nihilism.

Keywords Nietzsche; Will to power; Genealogy.

مقدمة:

نظرت الفلسفة قبل نيتشه إلى الحقيقة على أنها تطابق الثبات والاستقرار والمطلقية، وهو ما اعتبره نيتشه إعداما للحياة والتجديد وسير بالفلسفة نحو مستقبل العدمية والانهيار، وجعلها حركة سلبية ضد الحياة، مولدة للسكون والكآبة، فثار ضدها معتبرا الحقيقة الثابتة وهما أوجده ذهن الفلاسفة، والفيلسوف الحق هو الذي يقوم بعملية تقويم ومراجعة مستمرة للما اكتسبه من معارف.

ومن أجل ذلك لم يهتم نيتشه بفهم الفلسفة وتحليلها فحسب، وإنما اهتم بماضي هذه الفلسفة بهدف صناعة مستقبلها الجديد الذي يأمله بعيدا عن المستقبل العدمي الذي تقودها إليه العقلانية والمنطقية الجامدة، والتي لا سبيل للخلاص منها والخروج من الأزمة التي توجدها إلا بنقد شامل يزعزع صرح الأفكار القديمة ويبني لفكر جديد يؤسس لنسبية الحقيقية ويؤمن باستحالة التأصيل والمركزية التي يقيمها منطق العقلانية التي تؤسس لقيمة الحقيقة كقيمة عليا لا تخضع للنقد، ومن خلال ذلك سعى نيتشه إلى إيجاد تحول جذري يقلب كل الأفكار السابقة فظهرت سمة جديدة بالفلسفة لها مقولاتها المختلفة عن سابقتها، مؤسسا لمنهج جينيالوجي بالنقد الفلسفي دعا من خلاله إلى الشك في قيمة الحقيقة التي روجت لها العقلانية والمنطقية الوهمية، ووضعها موضع السؤال والنقد اللامشروط، فلا معنى للحقيقة عنده إلا إذا ارتبطت بالتقييم المستمر.

وعلى الرّغم من الانتقادات الّتي وجّهت له تبقى فلسفة نيتشه باعثا على التّجديد والتّفكير والرّغبة في صناعة الحياة وإن اختلفنا معه في منطلقات هذا التّجديد فإنّنا بلا شكّ نتّفق معه أنّ الحياة لا تركن للقديم كقالب جامد وإنّما كحياة متحرّكة باستمرار لتنتج الجديد وتسعد بها الإنسانيّة.

لذا وتأسيسا على ما سبق تتجلى أهمية هذه الورقة البحثية في ناحيتين:

أهمية علمية: تتمثل في النظر فيما قدمه هذا الفيلسوف الثائر من فلسفة نقدية، بالنظر في حياته وما أثر في تكوين تفكيره من أفكار سابقة له، بدأ منها ليعود وينقدها بحثا عن تفسير لإرادة الحياة المتجددة باستمرار.

أهمية تطبيقية: تتجلى فيما تظهره أبعاد هذا الموضوع وتأثيره على الواقع وحاضر البشرية خاصة المجتمعات النامية التي تستورد الأفكار الغربية الجاهزة باعتباره مؤسسة للحضارة دون النظر في جدواها الاجتماعية بالنسبة لها من خلال وتمحيصها ونقدها، ما يجعل مشاريعها التنموية تتصادم مع واقعها وتنتج العدمية والفشل باستمرار

ويتضح بذلك هدفنا من خلالها الذي يتأسس على التّوجه نحو الفلسفة الألمانية وبالتّحديد أبرز شخصياتها الّتي هزّت تاريخ أوروبا الحديث للتعرف على فلسفته النقدية ومنهجه الجينيالوجي الذي أسس له باعتباره منهج يفكك المعارف والأصول ليعيد بناءها بما يخدم إرادة القوة والحياة ورأينا صياغة الإشكالية التي تبحث فيها هذه الورقة كالتّالي:

كيف أسس فريدريك نيتشه جينيالوجيا النقد الفلسفي؟

وحاولنا الإجابة على هذه الاشكالية بتجزئتها إلى ثلاث مشكلات هي:

1. من هو نيتشه في سياق عصره؟
2. من أين استقى نيتشه مصادر منهجه الجينيالوجي؟
3. ماهي الفلسفات التي انطلق نيتشه من نقدها لبناء منهجه الجينيالوجي الجديد؟

وقد اعتمدنا في مناقشة هذه الاشكالات منهجا تحليليّا استنتاجيّا، تجسّد في خطة بدأت بالتّعرف حياة نيتشه في سياق عصره ثم المصادر التي استقى منها نيتشه فلسفته النقدية؟ وأخيرا تعرّضنا إلى المنطلقات الفلسفية التي انطلق نيتشه من نقدها لبناء منهجه الجينيالوجي الجديد؟، وفي الأخير ختمنا بخلاصة أجملنا فيها ما توصلنا له من نتائج.

1. نيتشه في سياق عصره

1.1 مولده

ولد نيتشه في الخامس عشر من شهر أكتوبر، عام 1844 في رويكن بمقاطعة زاكسن(ويل ديورانت،1982، ص507) في بيت كاهن رعية روكن في إحدى مناطق تورينج التي جرى ضمها برويسا (جيل دولوز،1998، ص5)، وهو ابن لأحد القساوسة البروتستانت، وهذا الانتساب جعله يتميز بأسلوب عام في التفكير أخذه عن أبيه حيث يقول: "يستطيع الإنسان أن يعرف أبناء القساوسة البروتستانتيين والمعلمين من لهجة

التوكيد الساذجة التي يتحدثون بها، وهم العلماء عن نظريتهم، كأنها ثابتة مقدما، ما دامو قد عرضوها في حماسة وحرارة صادرة من أعماق قلوبهم، فهم قد تعودوا بطبيعتهم أن يعتقد الناس فيما يقولونه..."(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص16، 17)

2.1 مؤلفاته (صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، 37-39)

تبدأ مؤلفات **نيتشه بمؤلفات الشباب**(1858-1868) ونشرت بعد وفاته في 1900، ويمكن ذكرها فيما يلي:

- كتاب "أبحاث فيلولوجية"(1866-1877)
- كتاب "ميلاد المأساة من روح الموسيقى"(1870-1871)
- كتاب "الفلسفة في عصر المأساة عند اليونان"(1872-1875) ونشر بعد وفاته.
- كتاب "أفكار في غير أوانها-وفيها يهاجم ستراوس ومؤلفه"(1873)
- حياة المسيح -لجزء الأول عام 1873-، والجزء الثاني عام لا 1874 تحت عنوان (فوائد التاريخ للحياة ومضاره)، أما الجزء الثالث من هذا المؤلف بعنوان (شوبنهاور كمرب وظهر في عام 1874) أما الجزء الرابع والأخير فعنوانه (ربتشارد فاجنر في بايرويت وظهر عام 1876)

مؤلفات **المرحلة الوضعية النقدية** كالآتي:

- كتاب "نحن الفيلولجيون" في سنة 1875 ونشر بعد وفاته.
- كتاب "إنساني إلى أقصى حد" (1876-1878)
- كتاب "أمشاج من الآراء والأمثال"(1878-1879).
- كتاب" المسافر وظله" سنة 1879
- كتاب "الفجر" سنة(1880-1882) في أربعة أجزاء
- كتاب "هكذا تكلم زرادشت" ونشر الجزء الأول في مايو سنة 1883 والجزء الثاني في يوليو سنة 1883، والثالث سنة 1884، وألف الرابع في(1884-1885) لكن نشر هذا الجزء الأخير لأول مرة سنة 1892
- كتاب "فيما وراء الخير والنشر"
- كتاب "أصل نشأة الأخلاق" سنة 1778
- كتاب "قضية فاجنر" سنة1888.

- كتاب" خصم المسيح" سنة 1888 ونشر بعد وفاته.
- كتاب "نيتشه ضد فاجنر" سنة 1888 ونشر بعد وفاته سنة 1901.
- كتاب "هو ذا الإنسان" ونشر سنة 1908
- كتاب مدائح ديونيزيوس" سنة 1884.

والمطلع على مؤلفات نيتشه يلاحظ دقة كبيرة في الصياغة الأدبية، والصياغة الفلسفية وهي ميزة أخذها عن غوته(1749-1832)، شاعر ألمانيا الأكبر والذي لم يكن شاعر فقط بل فيلسوف أيضا مؤمنا بوحدة الوجود (عبد المنعم حنفي،1999، ص479)

وقد بدأ نيتشه حياته كمؤلف سنة 1858 حيث ألف نحو 50 قصيدة (صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص34، 35)، وبعد أن غيّر وجهته إلى الفيلولوجيا أظهر إعجابه بالعبقرية اليونانية التي أثرت في فلسفته، وتعتبر حياة نيتشه الفلسفية الفكرية قصيرة نسبيا تبدأ من سنة 1870 وتنتهي سنة 1889(جيل دولوز،1998، ص57)، وسنحاول فيما يلي عرض مصدرين من هذه مصادره التي أنتجها:

- **أصل الأخلاق وفصلها:**

احتوى هذا الكتاب على ثلاث مباحث، وأولى هذه المباحث تكلم فيها نيتشه عن الخير والشر، الطيب والخبيث (فريدريك نيتشه،1981، ص157) وحاول هذا المبحث التطرق للبناء النفسي للاعتقاد المسيحي، وكيف للثأر أن يغير الإنسان، أما القسم الثاني وتكلم عن الضمير وحلله بمفهوم سيكولوجي، وكيف ينقلب على نفسه وينشئ الحضارات، أما المبحث الثاني فاعتبر المثل الزهدية مثل للعدمية والتدهور، واختار رجل الدين كنموذج له (صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص34، 35)

- **إنسان مفرط في انسانيته:**

ضم هذا الكتاب تسعة أجزاء، تكلم عن تاريخ الأحاسيس الأخلاقية والحياة الدينية، روح الفنانين والكتاب والمرأة التي كان ينبذها الطفل، وتربيته وتعليمه في جميع المستويات والإنسان كذات....وقدم نيتشه هذا الكتاب بإهداء لفواتير بمناسبة ذكرى وفاته المئوية 30 ماي 1778(فريدريك نيتشه،1998، ص10)

2. مصادر فلسفة نيتشه

تعاقبت على حياة نيتشه عدة شخصيات كان لها تأثير واضحا على فكرة وفلسفته، سواء كان هذا التأثير مباشرا أو غير مباشر وأولى هذه الشخصيات نجد:

1.2 شوبنهاور (1788-1845)

فيلسوف ألماني، أول من فلسف اتجاه الفلسفة الذي سيطوره نيتشه فيما بعد.

لم يعايش نيتشه شوبنهاور، بل تأثر به من خلال مؤلفه "العالم كإرادة وتصور" هذا الكتاب الذي غير وجهته من الدينية إلى الفلسفية، وقد رأى نيتشه في هذا الكتاب نفسه، وكأنه موجه له شخصيا حيث يقول: " هو مرآة رأيت فيها العالم والحياة وطبيعة نفسي مصورة في عظمة مخيفة"(ويل ديورانت،1982، ص508، 509)، ويقول أيضا: " لقد بدى لي شوبنهاور وكأنه يخاطبني شخصيا، ويوجه كلامه لي، فقد شعرت بحماسه، وخيل لي أنه ماثل أمامي"(ويل ديورانت،1982،ص409)، لقد جعل هذا المصدر نيتشه يؤمن بإرادة الحياة التي دعا إليها شوبنهاور فجعلها أساس شخصية وأخلاق الإنسان وليس عقله"(محمد عبد المعز نصر،1982، ص114، 115).

فقد ثار شوبنهاور أيضا على قداسة العقل باعتباره من مؤسسي الاتجاه الرومانسي في القرن 19، لأنه اعتبر العقل محدود الطاقة عكس الإرادة التي تتعب ولا تنام، لذا فهي جوهر الإنسان) (فؤاد زكريا، د.ت، ص49).

2.2 ريتشارد فاجنر

في الفترة التي بلغ فيها تأثر نيتشه بشوبنهاور أوجه، وجد نيتشه في موسيقى فاجنر* التجسيد لهذه الفلسفة، وأعجب نيتشه بفاجنر وأحي له فلسفة شوبنهاور (يوسف كرم، د.ت، ص407، 408)، وبرهن له على أن العظمة والعبقرية ممكنان دائما، وتعبيرا عن هذا الإعجاب كتب نيتشه لأحد رفقائه" أرفين رودة" واصفا له دراما فاجنر الموسيقية قائلا: " إنما أتعلمه وأراه وأسمعه وأعقله هنا شيء يفوق الوصف، لتصدقني إذا ما قلت لك أن "شوبنهاور" و"جيتيه" و"اسخيليوس" ونبدرا" مازالوا أحياء"(فؤاد زكريا، د.ت، ص21).

* **ريتشارد فاجنر:** موسيقار ألماني كان له الأثر الكبير في حياة نيتشه حتى قال عنه في كتابه "هو ذا الإنسان": " إني لأسميه أعظم من أفادني في حياتي"(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص135)

ISSN: 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

وقد كتب نيتشه كتابه " ميلاد المأساة" بإهداء لفاجنر، عارضا فيه أوجه الاتفاق بين دراما فاجنر ومأساة الإغريق، لكن سرعان ما تراجع هذا الإعجاب فاعترف نيتشه بخطئه حول رأيه في فاجنر قائلا: " ....على كوني أخطأت بخصوص الرومنسية الزمتة التي زعم فاجنر أنها كانت بداية لا نهاية"(فريدريك نيتشه،1998، ص10)

3.2 داروين

لا يمكن نكران تأثر نيتشه بمفهوم التطور عند" داروين"، إذ يعتبره ويل ديورانت في كتابه" قصة الفلسفة" و"طفل داروين"، لما لا وقد كان كتاب داروين " أصل الأنواع" سنة 1859 من أهم ما صدر في القرن 19، وأعجب نيتشه بفكرة داروين حينما اختار للحياة صفة التنازع للبقاء، فالحياة عنده في نمو وتطور مستمرين، وعليه دعا نيتشه بأن تكون القوة هي الأثر وذلك من خلال رفضه للإله (علي عبد المعطي محمد وآخرون، د.ت، ص548)

كما أن جرأة داروين في إعلانه الأصل الحيواني للإنسان (فيصل عباس،1992، ص261) وتحديده لما كان سائدا من نزعة عقلية، سهل على نيتشه بناء فلسفة على فكرة اللامعقول، ومن ثم التمهيد لعلم نفس جديد كانت أبحاث فرويد آنذاك لم تصل إليه وهذا ما أقره به فرويد حيث يقول: " إن تنبؤات نيتشه ولمحاته الثاقبة تتفق على أعجب نحو ممكن مع النتائج التي توصل إليها التحليل النفسي بعد كثير من العناء (فؤاد كامل وآخرون، د.ت، ص485)

ومن هنا يتبين تأثير داروين في فكر نيتشه من خلال إرادة القوة التي دعا لها داروين، لكن نيتشه سيخلف مع داروين فيما بعد حول مفهوم إرادة القوة.

3. نيتشه وجينيالوجيا النقد الفلسفي

1.3 نقد نيتشه لليونان

كانت الفلسفة من أهم الفلسفات التي انطلق منها نيتشه في بناء نفده الجينيالوجي، ومن أبرز شخصيات الفلسفة اليونانية التي وجه لها نقده نجد سقراط وفلسفته.

وقد قدم نيتشه السقراطية بوصفها نموذج الانهيار والانحلال اليوناني من خلال مناداتها بسلطة العقل ضد الغريزة، مع أن العقل حسب نيتشه سلطة تشوه الحياة (صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص157)، فالعقل السقراطي كان سببا مباشرا في سقوط المأساة اليونانية لأنه أنتج الإنسان النظري ليصبح معه الوجود تافها

وظاهريا، لأن سقراط اعتبر الغريزة ناقدة للوعي المبدع وهذا ما خالفه فيه نيتشه، إذ يعتبر أن الغريزة هي أساس الإبداع والعقل ناقدا لها (صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص129).

وقد اعتبر نيتشه أن سقراط رمز لفشل الروح اليوناني، إذ أن سقراط عرف جانبا واحد من الروح وهو المنطقي العقلي، فحول بذلك العالم إلى فكر مجرد منطقي وغرر بالشباب اليوناني خاصة أفلاطون (أويغن فينك، 1974، ص308)، ويقول نيتشه في كتابه (أصل المأساة): " في حين أن الغريزة لدى كل الناس المنتجين هي قوة اثباتيه ومبدعة والوعي قوة نقدية ونافية، تصبح الغريزة لدى سقراط نقدية ويصبح الوعي مبدعا"(جيل دولوز، 2001، ص20).

ولأجل ذلك سمى نيتشه سقراط بالرجل النظري، وممثل الأخلاق الذي يرى الطبيعة معقولة لأقصى حد، حتى استبدل بالفن العلم والبحث النظري (أميرة حلمي مطر، د.ت، ص 147). ويقول نيتشه في ذلك: " إن سقراط هو عبقري الانحطاط الأول، يعارض الحياة بالفكرة ويحكم على الحياة بالفكرة.... سقراط هو الإنسان النظري النقيض الوحيد للإنسان المأساوي"(جيل دولوز، 2001، ص76).

ومن خلال ما سبق رأى نيتشه أن تقديس سقراط للعقل وإحلاله له محل الغريزة، والنقاش محل اللعب والرياضة، إلى إضعاف القوى الجسدية والعقلية، فتحول أفلاطون مثلا بتأثير سقراط من أفلاطون الرياضي الفنان، الكاتب القصصي إلى المنطقي عدو العاطفة والشعر (ويل ديورانت،1982، ص513، 514).

ومن هنا كانت دعوة سقراط للفضيلة قد أوجبت أن يكون الإنسان النظري بطلا فاضلا ديالكتيكيا، يوحد بين الفضيلة والعرفان أو بين الاعتقاد والأخلاق (جيل دولوز، 1998، ص76).

2.3 نقد نيتشه لشوبنهاور

رغم إعجاب نيتشه بشوبنهاور وتأثره به في أوائل حياته إلا أن ذلك التأثير لم يدم طويلا، فقد انقلب نيتشه على آرائه الأولى حول شوبنهاور، وذلك راجع لتبنيه فلسفة وضعية دعته لإعادة النظر في أفكاره المبكرة ونقدها، حيث حاول نيتشه تجاوز المفهوم التشاؤمي لدى شوبنهاور عن الحياة من خلال تمجيده لها عن طريق المفهوم الديونيزيوسي، عكس شوبنهاور الذي رفض الحياة متأثرا بالمسيحية، وبذلك كانت إرادة الحياة عنده بلا معنى وجوفاء لم تعبر غت كفاح الموجودات في سبيل إرادة القوة، لأن

الحياة في تزايد مستمر وبذلك تحتاج لفاعل تحقق من خلاله نموها وزيادتها(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص272).

وبالتالي فلا وجود لغاية الحياة خارج ذاتها فهي تحمل غايتها في نفسها، وقد صرح نيتشه بذلك في العديد من نصوصه منها قوله: " ما يدعوه شوبنهاور بالإرادة هو مجرد كلمة فارغة جوفاء فما هي إلا إرادة الحياة، ما الحياة إلا مجرد حالة خاصة من إرادة القوة لأن كل موجود يكافح من أجل الدخول في شكل من أشكال إرادة القوة"(علي عبد المعطي وآخرون، د.ت، ص548).

ومن خلال ذلك ثار نيتشه ضد النزعة التشاؤمية في جميع المجالات خاصة الأخلاق واعتبر نظرة شوبنهاور التشاؤمية قاصرة ومكتفيه ويقول: " كانت القضية تتعلق بالنسبة لي بقصة الأخلاق، وحول هذه القضية لم يكن يسعني أن أبرز مشكلتي إلا مع معلمي الفذ شوبنهاور الذي كان ذلك الكتاب موجها إليه، إنسان مفرط في إنسانيته، تلك الغرائز التي عمل شوبنهاور بالذات على تحميلها في ناظري زمنا طويلا بعدما ألهمها.... اعتمد عليها من أجل إنكاره للحياة ونفسه"(فريدريك نيتشه، 1981، ص13).

ويرى نيتشه شوبنهاور حين تكلم عن الإرادة صورها لنا على أنها المعرفة الحقيقية الوحيدة الممكنة لنا، وهذا ما اعتبره نيتشه حكما سانحا لأن الإرادة أمر معقد لا تملك وحدة إلا في اسمها، وهذه الوحدة الظاهرة هي ما خدع يقظة الفلاسفة حيث يقول: ".... أفهمنا شوبنهاور أن الإرادة هي الشيء الوحيد الذي نعرفه بالفعل، نعرفه بالتمام والكمال من دون زيادة أو نقصان.... تبدو لي الإرادة قبل كل شيء كأمر معقد، أمر لا يمتلك وحدة إلا على صعيد الاسم"(جيل دولوز، 1998، ص85).

لذا لم يكن شوبنهاور بالنسبة لنيتشه مؤسسا لفلسفة جديدة في الإرادة بل عمد إلى جمع النتائج السابقة للفلسفات القديمة فقط، فجعل الإرادة هي الجوهر وعليها أن تنفي نفسها لأننا كائنات تلغي ذاتها، وبذلك قيد شوبنهاور الإرادة عقليا وعقائديا ثم عمد إلى نفيها لذاتها، من هنا ثار نيتشه ضد شوبنهاور بإعلانه أن فعل الإرادة يحرر وهو خلق لقيم جديدة (جيل دولوز، 2001، ص107-109).

كما اعتقد نيتشه أن شوبنهاور أخطأ عندما تصور أن الطريق الوحيد المؤدي للحقيقة يتمثل في التخلص من العقل والشعور، لذا رفض نيتشه القول بإرادة الحياة وطالب بإرادة القوة، وهي حجة نفسية نقد بها إرادة الحياة ومفادها، أن الإنسان يعيش

قصور ذاتي ولا يكون له الإشباع إلا بإرادة القوة (عبد المنعم حنفي، 1999، ص479) ويقول نيتشه موضحا ذلك: " لم يصادف الحقيقة بالتأكيد ذاك الذي كان يتحدث عن إرادة الحياة، فهذه الإرادة لا وجود لها (أويغن فينك،1974، ص92).

وقد كان نيتشه من المؤمنين والمدافعين عن فكرة الحياة، ثم تراجع عن ذلك وفسر هذه الفكرة بالمضللة، فالحياة تترجمها القوة، وفسر يوسف كرم هذا الإقبال والتراجع لنيتشه في كتابه (الفلسفة الحديثة) بأن تزايد مرض نيتشه عليه هو السبب في ثورته على شوبنهاور، لأنه أراد الحياة بكل قوة فكان مرضه دافعا لهذه الإرادة مؤكدا لها أحيانا ومدافعا عنها أحيانا أخرى(يوسف كرم، د.ت، ص406)، فالحياة لابد أن تنقلب إرادة قوة، لكن الإرادة عند شوبنهاور أنكرت الحياة والنفس فشك نيتشه فيها ورأى أنها أكبر عقبة تواجه الإنسان والبشرية جمعاء، وماهي إلا نهاية بداية(فريدريك نيتشه، 1981، ص13).

كما يرى نيتشه أن شوبنهاور قد أخطأ في وصف اليونان بالنزعة التشاؤمية، وذلك في مؤلف مولد المأساة إذ يقول: " قد تبين كيف نجح اليونان في عرض المذهب التشاؤمي وكيف تغلبوا عليه فالمأساة دليل على أن اليونان لم يتصفوا بالنزعة التشاؤمية"(صفاء عبد السلام على جعفر،2001، ص139).

3.3 نقد نيتشه لفاجنر:

انتهت العلاقة الحميمية التي بدأت بين نيتشه وفاجنر والتي كان نيتشه يقول عليها: " هي من بين أجمل أيام حياتي"(أويغن فيك،1974، ص46) نهاية مأساوية، ففي المرحلة الثانية من حياة نيتشه والتي مثلها على وجه الخصوص كتابه (إنسان مفرط في إنسانيته) ظهر فيها نيتشه منقلبا على أفكاره الأولية، فعندما تقرأ كتابه السابق تشعر وكأن نيتشه ينكر ما قاله سابقا ويحرق ما كان يعتقده في أول حياته الفكرية (جيل دولوز، 1998، ص6)، وقد كتب نيتشه مفسرا هذه النهاية بقوله: "تطلعاتنا بدأت تسير في اتجاهات متعارضة"(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص145).

كما اختلف الكتاب في تفسيره هذا التنكر من نيتشه لفاجنر، فمنهم من أرجع ذلك إلى تفاقم المرض العقلي لنيتشه منذ كتابه: "إنساني، إنساني جدا"، وآخرون اعتبروه نتيجة بديهية للتطور الروحي والفكري لنيتشه، ويقول نيتشه أن من أسباب مقاطعته لفاجنر اعتراضه على موسيقاه، إذ أصبحت تشعره بالتعب والاختناق عند سماعها، وهي بذلك تعمل على انهاك واستهلاك لقواه العقلية، في حين أن نيتشه بحاجة لموسيقى

هادئة تجدد نشاطه إذ يقول: " إن دوافعي ضد موسيقى فاجنر دوافع عضوية، فما أشعر به فعلا عند الاستماع لتلك الموسيقى هو العجز عن التنفس بسهولة"(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص145).

لقد كان **نيتشه** يعلق آمالا كبيرة في شخص فاجنر لإحداث نهضة فنية روحية تجدد للألمان أساطيرهم التراجيديا وتلهمهم بالروح الخلاقة، كما كانت الروح اليونانية في عصر التراجيديين الإغريق (أميرة حلمي مطر، د.ت، ص143). لكن هذه الآمال خابت بسبب اتخاذ موسيقى فاجنر طابع المسألة مع الإمبراطورية الألمانية، وهذا ما اعتبره نيتشه خطرا على الحضارة فكتب يعبر عن استيائه من فاجنر يقول: " لن أغفر لفاجنر قط أنه قد أصبح تابعا للإمبراطورية الألمانية"(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص145). لقد تحول فاجنر بالنسبة لنيتشه من ثائر إلى تائب يردد عذاب المسيح بتأليفه بارسيفال للكنيسة، حيث يقول نيتشه: "بارسيفال فاجنر قد ابتكر بشيء من البهجة، والدراما الهجائية التي أراد فاجنر المأساوي بواسطتها وبطريقة تليق به أن يستأذن بانصراف عنا وعن نفسه، وقبل كل شيء عن المأساة وذلك عبر المبالغة في اتخاذ موقف السافر الأليم اتجاه المأساوي نفسه"(فريدريك نيتشه، 1981، ص97).

وفي تصور نيتشه أن ما حصل لفاجنر هو ذاته الذي حصل لأكثر من فنان عندما أخطأ في تأويل الشخصيات التي أبدعها، ولم يقدر الفلسفة الضمنية لفنه الأكثر خصوصية عندما اعتقد أنه قد أدخل في شخصياته العقيدة الشوبنهاورية"(فريدريك نيتشه، 2001، ص97). ويرجع يوسف كرم سبب هذا الاختلاف إلى أن فاجنر قد مال إلى المطالبة بالمساواة بين جميع الناس وأن يكونوا متحررين للارتقاء بالفن، ولكنه حسب نيتشه أخطأ لأن العامة لا يمكن أن تسمو لهذا المستوى (يوسف كرم، د.ت، ص407، 408).

3.3 نقد نيتشه لداروين

كتب داروين عام 1859 كتاب أسماه (أصل الأنواع بالانتخاب الطبيعي) ذهب فيه إلى أن قانون الصراع لأجل البقاء هو ما يحكم تطور الحياة البيولوجية التي يبقى فيه القوي ويندثر الضعيف، واعترض نيتشه على ذلك معتبرا التطور البيولوجي لا مبرر له لضعف الأنواع القوية (صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص145)، وكان رفض نيتشه لفكرة قانون الصراع الذي دعا لاستبداله بقانون القوة التي تخلق كل شيء في

حين أن فكرة داروين عن الصراع من أجل البقاء قاصرة وسلبية وخيالية، إذا ما قارناها بمفهوم إرادة القوة، فالحياة ليست تنازع البقاء وإنما تنازع القوة والسيطرة، أمام مجموع الأغلبية والتي تتجمع نتيجة الخوف، لذلك ففكرة داروين قاصرة ضعيفة وزائفة مقابل مفهوم إرادة القوة(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص277).ويقول نيتشه موضحا ذلك" إن نظرية بقاء الأصلح الداروينية ليست هي وجهة النظر الوحيدة التي توضح تقدم مواضع القوة في الإنسان أو السلالة"(صفاء عبد السلام علي جعفر،2001، ص202). كما يرى نيتشه أن هذا الصراع في الانتخاب الطبيعي بنظرية داروين حتى وإن كان موجودا فإنه ينتهي عكس نظرية داروين، بأن ينتهي ضد الأقوياء إذ يقول نيتشه: " إذا سلمنا أن هذا الصراع موجود وهو يقدم نفسه في الواقع، فهو ينتهي للأسف بصورة تتعارض مع ما قد تتمناه مدرسة داروين، مع الصورة التي ربما تجرأنا على تمنيها معه، إنه ينتهي للأسف على حساب الأقوياء والمميزين، والاستثناءات الموفقة"، في حين أن الإنسان الأعلى حسب نظرة نيتشه فرد متفوق يرتفع بشجاعته من وسط الشعب بفضل تربيته القوية لا بفضل الانتخاب الطبيعي(ويل ديورانت، 1982، ص531).

أما نظرية داروين بالانتخاب الطبيعي فقد جعلت الإنسان آخر طور من أطوار التطور، في حين يرى نيتشه الإنسان يتطور إلى الأعلى لظهر صنف جديد سماه (الإنسان الأعلى)، لا يمتلك تطورا بيولوجيا فحسب بل يمتلك ذهنية عظيمة وعالية"(صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص203).

4.3 نقد نيتشه للمسيحية

عبر نيتشه عن نقده للمسيحية كعقيدة في كتاب له أسماه(خصم المسيح) وكان لهذا الكتاب عنوان ثانوي هو(محاولة في نقد المسيحية) وحوله بعد مرضه إلى(لعنة المسيحية)(جيل دولوز، 2001، ص76)، وقد اعتبر نيتشه المسيحية دين الشفقة التي تتعارض مع إرادة القوة، وهي بذلك تنطوي على ما هو ناضج للزوال، فالمسيحية في نظر نيتشه تدافع عن نفسها لصالح الضعفاء والمحرومين في الحياة وذلك ما أعطاها نظرة مريبة ومدعاة للشك، وقد انتقد نيتشه كل ما اعتبر الشفقة فضيلة واعتبره مناقي للحياة واصفا إياه بالعدمي لأن الشفقة عنده هي أخلاق الضغفاء(جيل دولوز،1998، ص95).

وبنا أن المسيحية تدعو لأخلاق الشفقة فهي عند نيتشه مصدر لتكوين الإنسان الضعيف وتمارس حربا مستمرة ضد ظهور الإنسان الأعلى الذي تنبأ نيتشه بظهوره في التاريخ، وذلك من خلال محاربة الكنيسة لغرائز الإنسان واعتباره من المنبوذين، وهي بذلك تدعو للعدمية وكره الحياة(صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص339)، ويقول نيتشه في وصف عداء المسيحية للتحرر والعقل وازدرائها للبدن: " العداء المهلك ضد سادة الأرض، ضد النبل والصراع الخفي بين الجسد والروح، يعبر ذلك عما هو مسيحي، كراهية العقل والشجاعة والحرية وتحرر العقل تلك هي المسيحية"(صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص342). إضافة إلى ذلك اعتبر أن المسيحية تمثل في جوهرها معاداة للعلم خاصة الفيلولوجيا والطب، لأن الفيلولوجيا تعمل على القضاء على الخرافات في النصوص الدينية، من خلال تتبع نشأة هذه النصوص، والطب بكشفه لأسباب الشفاء التي اعتبرتها المسيحية معجزات (صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص342)، فحتى عندما تنشد المسيحية أناشيد المحبة فهي تكتم حقدا وراء تلك المحبة لأنها تحب الحياة كطير مذبوح بلا حراك (جيل دولوز، 2001، ص22).

ومن هنا اعتبر نيتشه الإله المسيحي من أكثر التصورات الفاسدة التي تحققت في التاريخ، لأنه أصبح في تناقض مع الحياة عوض تمجيدها إذا يقول نيتشه: " ربما كان في أخفض مستوى من التطور النازل للنموذج الإلهي، فالإله قد تحول حتى أصبح في تناقض مع الحياة عوضا أن يكون تمجيدا لها وتوكيدا أزليا..."(أويغن فينك، 1974، ص161). ويستمر نقد نيتشه للمسيحية حتى في أسلوب معالجتها للمشاكل الإنسانية، إذ أنها تعتبر أن الألم هو نتيجة خطيئة ولا يمكن الشفاء إلا بمزيد من الألم، وبذلك فهي تلوث الجرح بدل مداواته أو تعطي مسكنا وهميا وهذا ما يمارسه الكهان، ويقول نيتشه: "فقط في يدي الكاهن هذا الفنان الحقيقي للشعور بالخطّأ.... فالكاهن فنان يشفي الألم عبر تلويث الجرح، فيرتقي بالخطأ إلى شكله الأعلى (جيل دولوز،1998، ص166-168)، ويقول أيضا: " الإضعاف والإنهاك هما طريقة المسيحة في الترويض والتحضر"(صفاء عبد السلام علي جعفر، 2001، ص342). وبنفس النظرة ينقد اليهودية إلا أنه يزدريهم ويحتقرهم ويحقد عليهم، كما أنه لا ينكر إعجابه بهم في إرادتهم، التي سيحققون بها الغلبة على الأشياء" إن بداية تمرد العبيد في الأخلاق يكون نتيجة حقدهم الذي يدفعهم لتوليد القيم"(Friedrich Nietzsche, 2002,p170)

خاتمة:

كان نيتشه معبرا عن أزمة العقل الأوربي، في رحلته المستديمة للبحث عن مثل أعلى، وعن توتر العقل البشري وحاجته لمرجعية متجاوزة تمنح الإنسان الأمان والقوة، لا تلغي إرادته كفاعل حر مسؤول، وهذا ما لم يجده نيتشه في المرجعية الدينية(المسيحية)، ولا في المرجعية البشرية (الفلسفة الغربية)، فكانت بذلك أعنف وأجرأ خطاب نقدي على جميع المستويات.

وهذا ما تمثل في إبداعيته وميزة السؤال النيتشوي من خلال منهجه الجينيالوجي، أين توجه نيتشه في نقده إلى الأصل وقيمته، ليفكك هذا الأصل باحثا على الكشف عن زيف هذا الأصل وهدمه، وقد اعتبر نيتشه من خلال نقده للأصل أن هذا الأخير يزداد تفاهة كلما كانت معرفتنا به أعمق، فلا وجود لشيء في نظره اسمه أصل، وما الأصل إلا وهم تعلقت به البشرية في نظره، لذا جاءت دعوته لهدم كل مرجعية للإنسان خارج ذاته، وتأثر نيتشه في بلورته لمنهجه الفلسفي الجينيالوجي بجملة من المفكرين الذين ارتد لينقدهم أيضا كونه لا يؤمن بالأصل المطلق ومنهم، شوبنهاور، فاجنر وداروين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. فريدريك نيتشه(1981)، الأخلاق أصلها وفصلها، تر: حسن قبسي، د.ط، د.ب: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
2. فريدريك نيتشه(2001)، العلم الجذل، تر: سعاد حرب، ط1، بيروت، لبنان: دار المنتخب العربي.
3. فريدريك نيتشه(1998)، إنسان مفرط في إنسانيته، تر: محمد الناجي، ج1، د.ط، بيروت، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.
4. أميرة حلمي مطر(د.ت)، فلسفة الجمال نشأتها وتطورها، د.ط، د.ب: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
5. أويغن فينك(1974)، فلسفة نيتشه، تر: إلياس بدوي، دمشق: منشورات دار الثقافة.
6. جيل دولوز(1998)، نيتشه، تر: أسامة الحاج، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
7. جيل دولوز(2001)، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
8. صفاء عبد السلام علي جعفر(2001)، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، د.ط، د.ب: دار المعرفة الجامعية.
9. علي عبد المعطي محمد وآخرون(د.ت)، الفلسفة الحديثة، د.ط، د.ب: دار المعرفة الجامعية.
10. عبد المنعم حنفي(1999)، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، ط2، د.ب: دار مدبولي للنشر والتوزيع.
11. محمد عبد المعز ناصر(1982)، فلسفة السياسة عند الألمان، د.ط، بيروت: دار النهضة العربية.
12. فؤاد زكرياء(د.ت)، نيتشه، د.ط، د.ب: القاهرة، مصر: دار المعارف.
13. فؤاد كامل وآخرون(د.ت)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، د.ط، بيروت: دار الفلم للنشر والتوزيع.
14. فيصل عباس(1992)، الفلسفة والإنسان، د.ط، بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.
15. ويل ديورانت(1982)، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، ط4، بيروت: مكتبة المعارف.
16. يوسف كرم(د.ت)، تاريخ الفلسفة الحديثة، د.ط، بيروت، لبنان: دار القلم للطباعة والنشر.
17. Friedrich Nietzsche(2002), la généalogie de la morale, city, Bejaia: édition talant